حاورها/ عبد الرحمان تبرماسين
ص ب 67 العالية نور07004
بسكرة الجزائر.

الشاعــرة الجزائــرية نادية نواصر لــ – عــمــان :
أكتب لأمتطي صهوة الريح

نادية نواصر[1] شاعرة جزائرية مجيدة تكتب بهموم الأنثى وأوجاع الوطن تنتمي إلى مدينة **عنابة** حيث الخصوبة والماء الذي يحاصرها جوا وبحرا ويتناغم مع غابات الفلين والأرز وحدائق البرتقال ومساحات الدوالي الملونة في سيميترية رائعة التناظر والدقة جعلت نادية تغني:

أكتب شعرا / أطلق كلمة /أخسر عمري

فبين كتابة الشعر وإطلاق الكلمة مسافة تقدر بخسارة العمر. هذا الذي استفز جموع المتتبعين للمهرجان النسوي فكان اللقاء معها وكان السؤال:

س 1 – لماذا تكتبين؟

ج1– أكتب لأن الأرض ضيقة وأحلامي واسعة جنونية، ولأنه محكوم علينا كعرب بالاعتقال داخل محراب الكلمة، وحرب الكلمة هو كل ما نملك. ولذا منحنا السلطان حرية الكلام و سَلَبنَا باقي الحريات ولك أن تصرخ، أن تركض بكل الاتجاهات! أن تعوي، أن تزأر، لك أن تصول وتجول داخل هذه الرقعة المحددة لك، انزل واصعد، عانق كل المنعرجات، تربص بهم عند كل المفترقات الفكرية لكن أدر رأسك في النهاية باتجاه الصحو والوعي ستجد أنك تقوم بكل هذا المهرجان داخل دائرة حدَّدوها لك بالطبشور الأحمر، إنهم يمسكون برأس الخيط بعد أن أحكموا ربط العقدة حول جسدك وفكرك حتى لا تذهب إلى أقاصي القضية أو المرام الذي سطره حلمك. **فأنا أكتب سيدي لأمتطي صهوة الريح وأفلت من خيطهم، ومن قيدهم.** أكتب لأتحول إلى طاقية إخفاء وأعبر إلى الضفة الأخرى حيث (هوليود) الفكر والإبداع والحلم وحرية السباحة في بحر الكلام الجميل.

س2– ألا يزعجك أنك تكتبين عن الساكن؟ وأنت القائلة: أكتب عن أسياد لا تعود ولا تذهب، عن زمن لا يروح ولا يأتي، عن كوامن لا تموت ولا تحيا.

ج2– حين تستيقظ ذات صباح مدجج بالحلم والشوق والتوق وتشعر أن أشياءك الغالية، الجميلة رابضة بين حنايا الروح كسيف حاد ينام في غمده وأن كل هذا التراث الهائل من الذكرى والوجع مستبد بالشعور، يقف في بهو العمر كقطاع الطرق ليبتر خيوط شمسك ويسلط على لياليك الأرق، وعلى اللغة وشائج الشجن، نعم هي أشياء كالتي تستيقظ بها وتنام عليها فلا هي تغادر العمر وتعانق النسيان ولاهي تستقر فيه وتزاوج الديمومة، أنت إذن تعيش البين بين الموت والحياة، الجنة والنار ولا يسعك وقتها إلا أن تلبس كتاباتك معطفا يقيك برد الشتاء وحر الهجير، وأن تحتمي بظلك والظل في نظرك وقتها حقيقة الأشياء، صورها وتكتب عنها وقتها لتجعل من كل هذه الكوامن ظواهر من الوجع ومن الساكن عالما حيا ومن الخواء حياة صاخبة بالذهاب الممتع نحو الإبداع الفسيح فتنبعث روح النبض وتدخل مرة أخرى في وجع المخاض وتلد القصائد تباعا لتكون بردا وسلاما في الزمن القطبي.

س3- أغار عليك. تتعدد قراءتها، الأولى موجهة له والثانية موجهة لها، والثالثة للوطن فما السبب في هذا التثليث؟أهي اللغة أم الأنثى حينما تكتب تتمنع، وتدخل القارئ في دوامة سلطة المبدع؟

ج3- داخل قلب الأنثى المبدعة مملكة صاخبة أقيمت على أسس اللغة والوطن والرجل، تربط بين هذه العناصر الثلاثة رابطة قوية مقدسة هي الحب الأعمى الذي يتوج على قدر ارتفاع درجة حرارته بنار الغيرة والمرأة بقدر ما هي ذلك العطاء الوجداني الحضاري هي عاشقة اعتقال، لا تريد أن يدنو من ممتلكاتها أحد ولا يشاركها فيها شريك ولأنها أشياءها الجميلة التي ظلت ترعاها وتسقيها بعطائها وسخائها ويلُفُّهَا في قطن القلب حتى لا تتلفها رياح الزمن، فكثيرا ما نجدها في قصيدتي "**أغار عليك**" صارخة:

يا ظالم عرج عن حَرَمِي إنه عالمها الذي مشت من أجله مسافة الألف ميل إلى آخر محراب في الدنيا، حافية القدمين، عارية موغلة في العراء الموحش، ليس في حقيبتها إلا زاد الصبر المبلل بقطرات الدموع ومن هنا ندخل مع هذه الأنثى، امرأة التعب الحارق إلى دوامة سلطة المبدع مؤثثين بخرائب اللغة وحرائق الأنثى وبناءات النص الطاعن في منفاه الضارب في الوجع ذاكرة المخيال الفسيحة.

س4- قصيدة "الدوران" حقائبها أحزان، ألأن القبيلة لا تزال سيدة في أحكامها أم أن المدينة هي مبعث الوجع، والرجفة؟ وما العلاقة بين القبيلة والمدينة؟

ج4- دعني أقول لك إن قلب الشاعرة هش لا يحتمل صخر **إيدوغ*** وأسوار المدينة العالية، لا يطيق عسس الليل وقطاع الطريق، لا يطيق أحكام القبيلة الجائرة القاسية تلك التي تخنق فضاء الشاعرة وتتحكم حتى في حبال صوتها وقد تتحول المدينة في هذا المضمار إلى قبيلة، جبالها وبحارها قبيلة، حاكمها من الغزاة وسكانها يحنون له الجباه والظهور كالنعاج الذين يذبحون الوردة من نسغها الطالع ويشنقون الشمس من وهجها الساطع لدى طلوعها ولا يسعك هنا إلا أن تحمل معولك الفولاذي وتناضل ضد الموت المسطر لك، ضد الخوف ضد الوجع، ضد صوتك المعلب، ضد تظليلهم لمسيرتك ضد من تعمدوا ألا يقيموا الوزن بين حجمهم وحجمك ولا يسعك إلا أن تكتب على جدران هذه المدينة قصائدك القادمة من زمن الوجع والمنفى، وأنت تصر بكتابتك تلك أنك واقف لا تزعزع قامتك الشجرية الريح وأنك شامخ "**كإيدوغ**" الأشم تذكرهم من يعرفون حجمهم وحجمك ولأن الذكرى تنفع الغافلين.

- أنت أولى الشجيرات
في غاب **بونة**[2]
ملح البداية
أصل الحكاية
فشدي بجذع النخيل
غداة المخاض العسير
سيسَّاقط الصبر من غيمة الصبر
لا تجزعي
كُلي... واشربي...
واحلمي بالصباح الجميل
الصباح القريب
يشف صباحاتهم ويجيء

على كف سوسنة أسست

للربيع.....

س5- مدينة "عنابة" مدينة السهل والبحر وغابات "السرايدي"*التي لا نجد مثيلا لها إلا في "ماليزيا"، وأشجار البرتقال والدوالي ألا يأسرك حبها، أم هناك فواجع تحيط بالمدينة لا يراها إلا الذي اكتوى بنار الإبداع؟

ج5- بونة امرأة فاتنة، بهية الطلعة، هيفاء الوطن، حين يدركك البرد وتنهكك الغربة لا يسعك إلا الاحتماء بأحضانها واتخاذها الملاذ والمأوى والمنفى، يقع لك معها ما وقع لزوليخة وسيدنا يوسف حين همَّت به وهم بها، وحين تغْرق في مفاتنها ومباهجها تحمل سكينها لاستئصال ما طلع بينك وبينها من شوك وورد، وصبار، تذبحك برفق على مرأى من نبضك وعشقك الأسطوري لها ولا يسعك إلا أن تعاملها برفق متبادل وأنت تلفظ آخر أنفاس العشق هامسًا: هذه وردة القلب اغرسيها بعد رحيلي بجبال "**إيدوغ**" الأشم أو **رأس الحمراء ...** أو "**أبو مروان الشريف**" أو "**القديس أوغستين**" أو بالمدينة القديمة، أو بساحة الثورة أو بقلب تمثال الشهيد "**بوضياف**[3] الذي جاءها مبتسما سعيدا بالموت، ليموت في أحضان سويسرا العنابية بهدوء كي تولد من كل هذه الروائع جدلية الحب والموت والوجع وتسكن قلب الشاعرة الزجاجي وتأتي القصائد مرة أخرى مدائنا، مدائنا موشاة بالحب والحزن والقلق والخوف والشوق والتوق والأرق لتعانق المسافات وتمتطي صهوات الريح ويصبح للأنثى أشيائها الأخرى.

س6- عنابة التاريخ: عليسة وأسطورة الثور، البوني، وسيدي بومروان.القديس أوغوسطين والشهيد بوضياف، وقوافل الشهداء؟ أليست هذه عناصر استفزازية أسطورية تأسر الشاعر وتأمره هيت لك أن افعل؟

ج6- من أسطورة الثور، البوني وسيدي بومروان والقديس أوغستين والشهيد بوضياف تأتي بونة الأنثى الأخرى التي تصعد بك إلى سدرة منتهى الإبداع فيولد الشعراء أسرابا كما رحل الشهداء قوافلاً قوافلاً يناشدون وشائج القصيد ويرممون خرائب الذاكرة ويعيدون للغة المعنى ويصبح النبض مددٌ، مَدَدْ !! ويغنى الكل على صهوات الموج مع حركة المد والجزر بمعية النور المأسور بعينيها:

- أجيء المدينة يا صهد القلب

متشحه/ باقتحام الصدى والمدى

دفقة من غيوم المساء

أجيء مع شهب الوقت وحدي

أزواج بعد المسافة

لهذا المساء المباغت

لهذا المساء المرواغ

لهذا المساء المراهن

بالبحر، بالزرقة المشتهاة

وبالملح والخبز والحب والأنا والهوى

على مهرة الروح يتضح الغيم أسطورة من تجلي المكان وحين تباغتك الأسطورة وتراوغك لا يسعك إلا أن تراهن بهذا الحب الذي يسطع دفاقا منبلجا من خلجات اللحظة الحلم، اللحظة المبدعة.

س7- متى ينتهي خذلان المدينة لك؟

ج7- ينتهي خذلان المدينة حين يتنحى عن الدرب قطاع الطرق المتربصين بدولة الحرف الذين يسعون لتغطية الشمس بالغربال، حين تسقط سيوف السلطان والذين نصبوا أنفسهم أربابا لعالم الحرف والإبداع وأنا لا أعني الذين سبقونا في التجربة ولا أعني الذين كانوا لنا المدرسة ولا أعني الأسلاف العظماء فأنا أومن أنني أنتمي لأجداد احترقوا بنار الحرف قبلي لتكون لي هذه النار بردا وسلاما بعدهم، وأومن أن من لا يعترف بكاتب سبقه في المسيرة الإبداعية ويعمد بعد ذلك إلى حرق المراحل فهو ليس بمبدع أصيل ولكني أقصد الدخلاء على الكتابة، أقصد من قتلهم الخواء فلم يدركوا أن الساحة للفحول وأنها تسع الجميع وأن الكتابة التزام مع الذات النظيفة الصافية وإيمانا بالقضية الإبداعية، محبة وخير وسلام والكاتب الأصيل أخلاق وموقف.

ينتهي خذلان المدينة حين يتوقف هؤلاء عن جهنمية التخطيط في حين يقف الكاتب الأصيل خارج أسوار اللعبة لأنه يحمل رسالة نبيلة تفرحه لذة الاحتراف ومتعة المخاض ودهشة الميلاد ووقتها تقوى "**الكاهنة**"[4] على برابرة الحرف و "**ماغول**"* البلدة. ينتهي خذلان المدينة حين يدرك هؤلاء أنها لو دامت لدامت لغيرهم وأن ارض الله واسعة وساحة الإبداع واسعة بحجم قلب المبدع وأحلامه الجنونية.

ينتهي خذلان المدينة حين يدرك هؤلاء أن الماء للجميع والأكسجين للجميع والشمس للجميع. حين تُشرَّعُ أبواب مدائن الإبداع وينطلق منها صوت عال: أدخلوا أيها المبدعون من أي باب شئتم فالمدينة مدينتكم والأرض أرضكم والأهل أهلكم والبلد بلدكم والوطن العربي وطنكم، بدل الزَّج بالكاتب في أقاصي الغربة النفسية القاتلة، أجمل منها المنفى !!

س8- أنت هكذا بلا قرار أنثى من الكافور والإعصار، وخريطة محروقة الحدود، لما ذا؟ أ لأن الوطن تضطرم على امتداده حدود نوادر النيران؟

ج8- إنني هكذا، ساعة اصطدام الواقع بالحقيقة، ساعة اصطدام الحلم بالوجع، لحظة المكاشفة حين يمتزج الخوف بالطمأنينة، لحظة تضارب الموت والحياة، الحب و اللاحب الاقتدار والعجز، المكان باللا مكان، ساعة يربكني الوجع وتباغتني الفجيعة وساعة يحرجني السؤال من محيط الروح إلى خليجها لماذا في مقدور البشر أن يغرسوا على قارعة الطريق وردة ولكنهم ببشاعة سرائرهم وقبح خياراتهم يغرسون الصبار لتكتوي به أقدام القادمين إلى زمن النهارات ووهج المباهج الروحية؟!

لماذا يسكنهم الجشع والبخل فيحملون المعاول ليلا ويحطمون مصابيح المدن النورانية؟ المصابيح التي تمد البشرية بنور الخير والمحبة والسلام، إنني هكذا أستغرب أمر المدن التي تريد ولا تريد، تدري ولا تدري، تفهم وتتعمد عدم الفهم، إنني هكذا حين يصبح بين الموت والحياة، الجوع والشبع لمسة حنان فقط كلمة حب من قلب ينبض مجانا ولكن ما أبخل القلب البشري يا صديقي؟!!!

ما أبخل القلب البشري !!!

ما أبخل القلب البشري !!!

واصغ معي إلى هذا الأنين، "**عرّيت لك مواجعي كي تمسكني من أنين روحي لكن حدّقت في الورم طويلا دغدغته بقطعة حديد صدئه، أضفيت قليلا من ملح جفائك وبهارات جحودك وخلفتني ضحية صدرك النحاسي**" **-نادية-**

س9- سؤال الحب في القصائد قائم على الضدية وعلى الرفض، وحبهم قائم على الطمأنينة. أهو الوعي، وثورة المنطلق، ورجة العقل؟ أم هو بعد المسافات؟

ج9- إنه الوعي بمقدار الوجع حين يتحتم عليك الوقوع في حب شخص واحد عدة مرات والسقوط في ملكوت عشقه آلاف المرات، ثم أن تكتب ملايين القصائد العاطفية له وحده وأن تمشي في محراب حبه معانقا طول المسافات حتى لو كلفك ذلك دَمُ العمر وحياة الغجر ومن هنا يولد الوعي بحجم الورطة ويتبلور المنطق بقدر الرجة، رجة العقل الذي غافل حيالها سلطان القلب الحكمة متسربا إلى مواطن الدهشة والجنون كيما تتحدد العلاقة بين المسافة والزمن داخل مدارات الروح وأقطاب الوجدان.

س10- ما سر الماء في شعر شعراء عنابة: عبد الحميد شكيل، سمير رايس، وأنت منهم؟ أهو التسرب إلى جدول الحياة. أم الخوف من القحط أم شيء ثالث زئبقي لايمكنني القبض عليه؟

ج10- دعني أختصر القول لأقول كل القول في هذه المعادلة **لأجلك آكل ... وأشرب ...لأحيا وأنمو... وأحبك !**

-نادية-

ولعل هذه المعادلة كافية لكشف سر الماء لدى شعراء "**عنابة**" ولدى نادية على الخصوص.

س11- كيف تمتطين صهوة الريح، وأنت لا ترينها؟ ولايمكنك القبض عليها؟

ج11- من الدير الحزين الذي عشت فيه منفاي لمدة خمسة عشر عاما وهو انقطاعي عن عالم الكتابة نهائيا بعد طبع ديواني الأول " **راهبة في ديرها الحزين**" والذي بعد هذه الفترة التي كنت فيها شبه ميتة لأنني لا أستطيع أن أحيا دون القصيدة حطمت أسوراه وفرجت باتجاه الواقع الإبداعي حافية القدمين أبحث عن الذات الأنثى الأصل، نادية الشاعرة مشيت في محراب الكلمة بعد هذا الخروج حتى أدمى قدامي الشوك ونخر جسدي المنهك البرد وحرقت بشرتي الناعمة الشمس وهنا توقدت الروح بروحها وكتبت بلهفة المجنون وبغزارة وكانت هذه الرحلة هي ميلاد ديواني الثاني " **امرأة المسافات**" ولم يشبع المشي والاكتشاف ذاكرتي المبدعة بل حرضني الجنون والتوق إلى عوالم فكرية شاسعة فامتطيت صهوة الريح لأسبق الزمن وأكفر عن الخمسة عشر عاما من الصمت والتي كنت فيها بين سيف الحصار وجلاد القصيدة وعلى متن الريح رأيت ما لم يره الآخرون وأحسست بما لم يحس به الآخرون نضج الوجع وتبلورت اللغة واتضحت الرؤى والمخيال واكتسبت قوة الريح وجاذبيتها في تحريك الأشياء الساكنة، أو ليست الريح هي محركة أغصان الأشجار فتحدث تلك الموسيقى التي تعبر عن استجابة الأوراق لهذه الحركة ثم تنشر هذه الأوراق راقصة هنا وهناك تناشد لحظة الإفلات من القيد أو ليست الريح هي العامل الملقح للنباتات؟ أو ليست الريح هي التي تمنح صغار الأشياء المرمية على الأرض فرصة التحليق عاليا والشعور بالعظمة ولو للحظة في الفضاء لا حدود ولا حواجز ولا جمارك الكل له حق الاختراق وحرية العبور. أو ليست الريح هي التي تلعب بمياه البحر فيرقص رقصة المد والجزر ومع المد يأتي الزمن الجميل ومع الجزر يذهب الوجع ليذوب تحت تأثير الملح ويتحول ربما إلى أعشاب بحرية أو طعاما للحيتان الهائمة تحت صفحة الماء المنعشة؟ وأنا أمام هذا العنصر الأخاذ أدرك بشفافية الذات الشاعرة سحر الريح وأمتطي بمخيالي صهواتها ليتحرك النبض وتتجسد الصور وتتشكل اللغة وربما يوغل المعنى في غموضه فاتحا أبوابا سحرية أخرى للقراءات والتأويل ومن كل هذا الصخب يولد الحلم وتتعانق شظايا الدير مع المسافات نحو الريح ويتوقد الوجع والانا بأناه، والأنا بالآخر وتجئ أشياء الأنثى الأخرى.

س12-تطاردين الزمن وهو يهرب منك، وتهدينه حرائق نبضك وهولا يمنحك تأشيرة الخروج من صقيع المتاهة؟ فأي ز من هذا؟

ج12- هو ذلك الزمن الجميل الذي لم نعرف فيه متعة القبض على أشيائنا الجميلة، ضيعناها سهوا ولم نشعر بقيمتها حتى أدركنا أننا فقدناها مثل أمي التي رحلت مبكرة إلى جوار ربها وأنا في العام الرابع من طفولتي مثل الأحبة الطيبين

الذين كانوا حولي ولم أرهم. فلو عاد بي الزمن إلى الخلف لا تبعت مسارا آخر ولملمت ما ضاع مني وعدت وأنا أرتدي معطفا دافئا للزمن، مثل كل ما هو غال وثمين ضيعناه غلطة على قارعة الطريق ونحن في رحلة تيه ولما عدنا لاسترجاعه وجدناه قد مل الانتظار فرحل وغير المنعرج، شيئا انتظرنا في محطات العمر طويلا، لكننا أخطأنا الدرب وأصبناه بسهامنا ومضينا نكابد وجع الغربة وبرْد المنفى ونزيف الروح والقلب، نعم زمن الأشياء التي لا تروح ولا تأتي، لا تموت ولا تحيا وإنما هي ذلك الإحساس المرير بالحسرة والندم والمقرون بـِ "**لو**" وحينها يحلو الغناء بمرارة.

– وأركض خلف اللامنتهى

أركض خلفي

أحدد ظلي

وأُحَدِدني

أفلت مني !

وألقاني!

أتلاشى مرة أخرى في سر المعنى!

أدخل تفاصيل اللحظة

وأقيم الحد الفاصل بين المسافة والزمن! !

وحينها يحلو البكاء بمرارة على صهوة هذا المقطع

– أرتد إلى داخلي

أكتب،

عن أشياء لا تعود ولا تذهب،

عن زمن لا يروح ولا يأتي،

عن كوامن لا تموت ولا تحيا

تجيء القصيدة

الرجل،

الوطن،

الألم،

المأوى، المنفى،

أكتب

كيما تتحرر الأشياء من ظلها الزائغ

س13–بين المسافة والحلم، من يقود إلى الحلم يامرأة المسافات؟

ج13– الحلم هو ذلك الكائن النوراني الحي الذي نحمله نطفة في رحم الروح والذاكرة، قد لا تكتمل تشكيلته إذا أرهقنا المشي فنلفظه في وسط الطريق وقد نستقي من صبر المعاناة ونسعى ليتبلور ويترعرع في ظل الإرادة الفولاذية ونلده بعد مخاض عسير مثلما ولدت مريم سيدنا عيسى عليه السلام. وقد تحاصرنا القبيلة فترة الحمل فنحث عن خلوة نلده فيها ونشد وقتها بجذع النخلة قصد تحمل أوجاع الوضع فتساقط رطبا، نأكل ونشرب ونعزي الذات الحزينة: **لا تحزني!**

وعلى قول "**أحلام مستغانمي**" نفس الذين حاربوني عادوا وصفقوا لي، ساعتها تنجلي الغيمة وتهدأ الحرب ويسقط الذين أعطوا لأنفسهم حق إغلاق دوائر الحلم وسنوا قوانين الساحة الإبداعية وأنت الذي صرخت حتى بح صوتك... وركضت بلافتاتك وشعاراتك في رحلة العراء الموحش، تعود ليفتح لك السلطان الباب وينحني إجلالا لك لأن كل مخططاته سقطت بفعل نرجسيته وأنت الكائن المفعم بالحب والخير والسلام لايسعك إلا أن تهتف وسط قومك اليوم أتممت رسالة الإبداع لان قلبي كان ذلك الموقع الإستراتيجي للحب.

س14-لو يطلقون الرصاص على الشاعرة؟ يموت الصهيل وتجيء الأغاني، ويكون الخلود.

ج14- إنك تفتح جراحاتي على مصراعيها وتجعلني أصرخ بحرارة الأنثى متى تنتهي سياسة تكريم الأموات بالأوسمة والدروع ويوم كانوا أحياء كانوا في جوع إلى حبة تمر؟! متى تنتهي سياسة وضع باقات الورود على أضرحة العظماء ويوم كانوا أحياء كان الكثير يسعى ليضع لهم السم في العسل؟! متى تنتهي سياسة النفاق والمراوغة في عالم بريء وطاهر كعالم الكتابة؟! ذلك العالم الذي نسترسل فيه في المدح والثناء والتعظيم إثر كلمات التأبين التي نودع بها عظماءنا ساعة رحيلهم ويوم كانوا أحياء كنا نعاملهم بمعاملة على قول الشاعر:

يقولون لي اهلا وسهلا ومرحبا ولو ظفروا بي خاليا قتلوني.

لماذا حاربناهم في الحياة وخلدناهم بعدما أطلقنا عليهم الرصاص؟! ألأنهم الآن رحلوا ولم يعودوا يشكلون خطرا على مكاسبنا؟ ألأنهم الآن جثة هامدة غير قادرة على التحليق والطيران وأن طموحاتهم اليوم لم تعد تهدد طموحاتنا؟ لماذا نهمشهم، نقصيهم ويوم ينتحرون نمشي في جنازتهم متلبسين ببراءتنا؟ دعني هنا أعود إلى الغناء المر والبكائية الملتاعة لأقول:

- هذي بلاد يا أناي
تكرم أمواتها
بالدرع والوسام
وهي التي اختارت
للكاتب الختام
تزج بالأحياء في النسيان
كي يخرس النشيد
ويحترق شاعرها
ويطلع الرماد
يبغونه أن ينتهي بالسكتة القلبية
يبغونه أن ينتهي بسكتة الإبداع
ويكتبون ... في حفلة التأبين
يا سادتي... مسألة شخصية
ويكتبون... في السيرة الذاتية
تيمه كاتبنا حب الوطن
ومات من أجل البلاد!

س15- تعيدين للمكان خلوته فلماذا لا تعيدين عمارته؟ أهو الهروب من الآخر؟

ج15- في الخلوة تهدأ العاصفة وتنجلي الرؤية في الأمكنة الغابرة، يتوقف الغبار الظلالة، غبار الركض خلف اللا منتهى لينزل الأرض أو يتجمع في مكان ما يمقت النور، يتنحى البهرج من على وجه الدنيا ويسكن الصخب سكونا مبينا، أنت وحدك الآن، سيد الموقف في ملكوت عظيم، رهيب، تفكر بهدوء، تتمعن، تنزل إلى إسفلت الرؤية، تتأمل صدى صوتك، صوت العالم والدنيا، تصعد وتهبط، تصول وتجول، تشرق وتغرب كما يحلو لفكرك المنساب بين جداول خلوته، تضيق وتسحب تبعثر قصد الفرز، فرز الصحيح لفصله عن الخطأ تفكك ثم تعيد تركيب رؤاك، تؤخر وتقدم، ترقم وتعدل، تؤخر لمرحلة ما، وتؤسس للآتي تراجع ما سبق، تتفقد ما ضاع منك، تراجع ما فلت من المخيلة وما ظل قابعا بها، تعد العدة ضد الخوف، الخوف من المجهول، ولأنك أعزل والطريق طويل، وأنت لا سياسة لديك في الخبث ولا خبرة في الرياء، تنظر في أغوارك بإمعان وعقلنة وحكمة دون أي تأثير بعيدا عن "**الإتكيت**" والمجاملة تماما كما كان يفعل عظيمنا الرسول (ص) وهو يفكر في أمر ربه وأمر رعيته وأمر رسالته العظمى وأمر هذا الملكوت الرباني العظيم.

س16- متي يورق الحب في البلاد التي أودعت شعبها للشرود؟

ج16- يورق الحب في البلاد التي أودعت شعبها للشرود يوم نغني معا هذا المقطع:

- أغار عليك

ولو طاوعتني حبال الوريد

لأوصدت قلبي

وأقفلت نبضي عليك! !

يورق الحب سيدي يوم نغار على هذا الحب نفسه ونواجه في هذا التصريح:

لأنني يا وطني أغار

من كل ما تقوله عيناك

لسائر النساء... لأن قلبي يرفض

سياسة التلاعب في الحب

ويبغض سياسة التعدد

في الحب...

ويبغض الرياء...

لأن قلبي قبلة للعشق والوفاء

حين ندرك كل سياسات الحب وثقافاته ونتمسك بأصوله وثوابته ونوقف التلاعب بهذا التراث العاطفي الهائل. يورق الحب في البلاد... حين نحب على طريقة عنتر ابن شداد وقيس ابن ملوح وروميو يعود للحب زمن مجنون ليلى وينتهي الشرود والتيه وتسقط كل الصدور النحاسية وتقف الوجوه أمام بعضها من غير أصباغ ولا طلاء تتصفح كتاب العشق المبين وتقف الأرواح في لحظات عري وصدق شفافة، ترفرف فوقها ملائكة الطهر ويتوغل الدفء في مسامات العقل الحجري ونكفكف جوع القلوب بأرغفة حب ساخنة يومها يورق الحب يومها يورد الحب... يومها يورق الحب وينتهي شرود اللذين...! ! ! ؟؟؟

س17- ماهذه الخيبة التي تلفك وأنت كقرص القمر ، وأنت غيمة والسماء مطر؟

ج17- خيبتي بحجم هموم المثقف وبحجم هموم القضية الإبداعية، بحجم النكسة العربية، بحجم الوجع وجع الحلم، حلم العودة، حلم الصعود إلى سدرة المنتهى وحرب اللذين خططوا لكسوف القمر المستدير ليصطدم بالغيمة التي تحجب نوره الساطع، بحجم النزيف الذي يحدث في تلافيف الروح كلما حبسوا المطر في أقاصي سماء دنياك وطموحاتك خيبتي تتلخص في هذا الكلام...

- آه! أمد لك يدي

في سكون الذات الرهيبة

في عراء الروح الموحش

كي تعتقني من أنين روحي

تغيب اليدان

وأسبح وحدي

في دوائر الفراغ...

س18- ندرك قيمة الذنب عندما يمر وقت الصلاة، والذين أذنبوا في حق الوطن والشهداء والتاريخ! متى يعرفون قيمة نبضه الذي لا يريد أن يصير ذكرى وأطلالا؟

ج18- يدركون ذلك يوم تغلق جنة النبض أبوابها ويغلق باب التوبة حيال المرتدين عن دين الحب الصادق ويحدث ذلك يوم يدركون أنهم لم يصدقوا ما عاهدوا الله عليه وأنهم لم يصدقوا ما عاهدوا التاريخ عليه وأنهم لم يصدقو ما عاهدوا الشهداء عليه ولم يصدقوا ما عاهدوا الحب عليه ولأنه بينهم وبين هؤلاء ضريبة الدم وبيننا وبينهم جريمة الإخلاف في الوعد وخيانة الوصية.

س19- أنت طفلة الريح وأنت القتيلة وأنت الجليلة وأنت وطن الوطن، فمتى ينتهي المنفى وينتهي الحصار؟ وينمو مع الطفل حب يسمى حب الوطن؟

ج19- عبر الريح أغافلهم أنا الطفلة، الطفلة الشاعرة، طفلة الريح، أغافلهم قصد العبور إلى الضفة الأخرى من الحلم بعد أن أعدوا لحلمي ما استطاعوا من خطط القتل وحين أطأ هذه المنطقة المبتغاة أبرق للسلطان

- يا سيدي السلطان

يا صاحب الجلالة

يا أيها الذي

تحنى لك الجباه والظهور

أنا هنا

من داخل الحصار

أشعلها الأحطاب والنيران

فليصعد الدخان!

فليصعد الدخان!

يا سيدي فليصعد الدخان !

ولتسقط النيران!

ولتسقط النيران!

وقتها يسمع السلطان هتافاتي، فيقف إجلالا لي ويفرش ذراعه كي تعبر الغريبة للسهوب، لأنها الأنثى الأم، الوطن، الرمز المقدس، القلب الذي ما عرف غير الحب، لكنه يظل وفيا لمنفاه، ذلك المنفى الجميل الذي يعرفها بقيمة الشمس و ما ينجم عن أيام الوجع وساعات المخاض في الخلاء الموحش الطاعن في عريه ولأن هذا المنفى صنع **(الجليلة)** وسيظل وشما منقوشا على الذاكرة وفي اللغة وفي عنفوان الروح والقلب وكذلك الزمن، وعلى الجنبات الظليلة، على ساعد اللحظات المفعمة بالخوف والشوق والوجع والإنتضار ومع كل هذه النقوش الفرعونية ينمو في قلب الغريبة حب بحجم الدنيا هو حب الوطن فتمشي في محرابه وهي تدندن له:

بلادي أحبك

من قال أن هواك محال

أنت كل الذي قد يقال

عن الحب أو لايقال

أحبك يا مكة الحب!

يا قبلة العشق

يا كعبة العاشقين!

نعم إنه الوطن الذي تهديه الصغيرة وردة فيهديها متاهة ومنفى!

س20- هذه الكلمات هي نبض قصائدك فما تقولين عنها للذي يريد أن يلامسها ويتحسس حدها ونعومتها: الريح، الحلم، الماء، الزمن، الروح، اللغة، المعنى؟

ج20-أقول له أيها القارئ، الجميل لك وحدك تنبض قصائدي المفعمة بالوجع والصهيل والغربة والعشق ولك وحدك تنزف الروح المجللة بعبق اللغة، أنت قصيدتي الأزلية وقصيدتك أنا فاحضن قصائدي القادمة من زمن البرد والصقيع والمتاهة وكن لها معطفا يقيها قسوة الشتاءات، كن مطرا منزلا على بؤر الذات كي يطلع بستان الفرح نقيم فيه سويا (أنا وأنت) أعراس العمر وميلاد الشهقة فتوغل إذن في (المعنى) لتشكلك (لغتي) وتقودك إلى عوالم (الروح) كيما نتوحد أو نتبدد أو نتجدد مع سلطانها وجاذبيتها وجبروتها... كيما تنبثق منها أنت زمنا آخر لميلاد آخر وأنت حينها (ماء) هذه الروح المنزل من مزن القلب تطير بك (ريح) الوعي والصحو إلى قارات (الحلم) الجميلة فيستقيم الجرح وتنهض أنثى الماء من وطنها الكسير.

س21- **للحلم رؤى ورؤاك مكبلة باللهاث؟!**

ج21-أحيانا يدفعون بك إلى الركض ويهيئون لك أسبابه حتى لا يتسنى لك التريث والاستراحة وأنت صاحب الرؤى والأحلام الجميلة، هم وضعوك في هذا الظرف عن قصد حتى تغرق في لهاثك وركضك ولا ترى ما سطرته بوضوح وحتى لا تفكر في راحة وشفافية وحتى لا تتعمق في حفريات هذا الحلم ولا تستطيع التأسيس له ولأنهم حكموا عليك بالركض وسط طريق شائك، طويل يصعد على جانبيه الغبار وهذا الغبار هو الظلالة الحاجبة لبيت القصيد، يعدون لك ذلك قصد تأخيرك عن الركب ولأنك تكشف رداءتهم وتساهم في سقوطهم ولكنهم لو طرحوا على أنفسهم من باب الفطنة فقط هذا السؤال: من يستطيع أن يغطي الشمس بالغربال؟! لوفروا على أنفسهم رسم نقاط سوداء ستتخلل ملفاتهم وتاريخهم وتخلُّ أو تسقط برسالتهم في أسفل الدركات.

س22-أنت امرأة من عجب نبضك عجب، وتوقك غريب وشوقك غريب وجوعك غريب. فمن هذه المرأة امرأة المسافاة؟

ج22- في هذا الوطن العربي الكبير عليك أن تدعي أنك لا تفقه شيئا لأننا نعاب على قدر درجة الفهم و الذين يعيشون بسلام وأمان هم الذين يمشون على الدرب كقطيع من الخرفان أما إذا رفعت لافتات الاحتجاج في وجهوهم فإنك تدفع ضريبة ذلك، قدرنا إذن أن نولد في وطن نركض فيه ولا نصل، نجوع ونعرى ولا يرانا أحد، نصرخ لا يسمع صدانا غير الو هاد والوديان والجبال الخاوية، أن تحترق بنار الوعي والصحر ومن رمادك يطلع شجر الوجع والمعاناة وكأنهم يقولون لك كُلْ خُبْزا واسكت و إلا ستمتص دمك الأفاعي وترهق ذاكرتك الأزمنة الكسيحة، ولا يسعك إلا أن تعانق مسافات الوعي وحدك وبيدك لافتتك، زاد الرحلة المضنية المكتوب عليها بعرق المأساة وحروف الرفض.

- أطلق كلمة

مرشوشة بدم الحق

وبهاء النور

أخسر عمري

وأبقى وحدي في منفى الحاكم وحدي أدور

في زنزانة ظُلْمه

أتمخض، تولد آلاف الطلقات

آلاف الصرخات

آلاف الآهات

امرأة المسافات هي: هي تلك التي مكثت في ديرها خمسة عشر عاما تناقش ذاتها وتحاور وجهها وتتأمل القضية من شتى جوانبه وحين تمخضت الفكرة وتأججت بين حناياها نار الأنثى الشاعرة بلغت قمة التجلي وخرجت في رحلة عري ممتدة مع مسافات الوجع وحين أوتي لها ما يكسر حواجز جسور هذه المسافات امتطت صهوات الريح لتبلغ قمة المكاشفة ويصبح لها أناها وأناها الآخر، أشياءها الهامة، أشياء الأنثى والأنثى الأخرى ومن هنا أحست أنها على اقتدار كاف للجهر بالقضية الفكرية والإبداعية وولوج الكون الشعري من أبوابه الشاسعة. كيف لا وهي الأنثى الغريبة، العجيبة السهل الممتنع، الهشة الصلبة، الهادئة الناثرة، الجشعة، القنوعة، الجزوعة، الصبورة، المتواضعة في غير ضعف، الخجولة من غير ارتباك، المجنونة العاقلة، الوضية للأزمنة الجميلة وأمكنة الذكرى، للأحبة والأصدقاء الطيبين، المنحدرة من جيل التعب وسلالة المعاناة ومن زمن البرد والصقيع والمتاهات اكتسبت قلبا فيه من المحبة والخير ما يكفي العالم مخلصة لأنوثتها، قريبة من قلب الرجل مؤمنة بما قال سبحانه تعالى " وجعلنا بينكم مودة ورحمة" لذا كلما أنهكتها رحلة الوعي والصحو تلجأ إليه هامسة عريت لك جرحي...

أيها الأخر كي تمسكني من أنين روحي وتضع يدك على موطن الرجة، رجة الجرح وتخفف من هلعي ثم تسمه لي بحق اللجوء إلى صدرك، حيث الدفء والماء والأعشاب الناعمة وحين تنهض الروح من إسفلت جوعها ولا يسع هذه الأنثى إلا أن تغني من رقة ونعومة:

- فلو لا هوانا

لما كان قيس

ومجنون ليلى

وعبله

وعنتر

وما كبر العاشقون

لفرط هواهم

في ساحة الحب، الله أكبر! ! !

[1] - نادية نواصر ولدت مع ولادة الثورة الجزائرية لها من الدواوين 1- راهبة في ديرها الحزين 2- امرأة المسافات 3- صهوات الريح 4- أشياء الأنثى الأخرى

[*] - جبل من حبال الأطلس التلي في الجزائر

[2] - الإسم القديم لمدينة عنابة الساحلية والتي تقع شرق الجزائر

[*] - منطقة سياحية تحيط بأعالي عنابة كثيفة الغابات وبها منتزه

[3]- أسماء لأماكن وأعلام عاشوا بالمنطقة أو مروا بها وآثارهم لا تزال قائمة. أما بوضياف فهو محمد بوضياف الرجل الثوري الذي استنجدت به الجزائر بعد رحيل الرئيس الشاذلي بن جديد واغتيل رميا بالرصاص وهو بصدد إلقاء كلمة في وسط المدعوين وآخر كلمة نطق بها " العلم"

[4] - الكاهنة: هي ملكة الأمازيغ. وكان موطنها الأوراس. أدركها الفتح الإسلامي وقاومته بشدة، ولما أدركت معنى الفتح ومعنى الإسلام أوصت أبناءها بالإسلام وغابت عن الساحة ولم يعرف لها مكان ولاكيف انتهى مصيرها.

[*] - تشبيها لهم بالمغول الذين أحرقوا وأتلفوا مكتبات بغداد.

© مخبر وحدة التكوين و البحث في نظريات القراءة و مناهجها.
جامعة محمد خيذر بسكرة، الجزائر.2009

http://labreception.net